

# سنتقي .. سنتقي !

بقلم فؤاد السائب



الثورة التي فتحت للعرب ابواب العراق ، وللعراق ابواب النضال العربي المشترك ، ليقف حيث يجب ان يقف في الصف الاول من قيادة العمل المنظم الذي يضع في جبين الهدف الاكبر وحدة الامة وبنسبها مجتمعها الجديد .

واليوم ، ودون عناء كبير في التحديق والتأمل وترصد ما جرى بعد يوم الثورة ، عام الف وستمئة وثمانية وخمسين ، نستطيع القول اننا نعيش في حمى الثورة ، وفي جوها الطبيعي المحمل بالوعود ، ونلمس في كل ما نرى ونسمع توتر عنفها وعنقوانها ، ونشم في كل عود احتراق بخورها واشتعال زيتها ، وتوسع دوائرها في حياة المجتمع العراقي ، ثقافيا واجتماعيا .

من اجل هذا ، وقبل ان يرحب بنا العراق فوق ارضه ، ابناء امة واحدة ولفة واحدة ، يتجمعون في هذا المؤتمر ، وتنعقد حولهم آمال واحلام ، نسبقه الى الترحيب به ، في الصف الاول من القيادة النضالية العربية ، عاملا بيده وقلبه وعقله ولسانه ، وبجميع طاقاته الكبرى ، من اجل عزة الامة وحرمتها ووحدتها .

\*\*\*

ايها الاخوة . بما انني عاصرت مولد الفكرة التي انقصد حولها مؤتمر الادباء العرب الاول في لبنان لاول مرة عام ١٩٥٤ ، وكنت بين الافراد الذين أسهموا في تنفيذها ، وبما انني اشتركت فعليا في كل دورة من دورات المؤتمر ، في دمشق والقاهرة والكويت ، ثم في بغداد ، أستطيع ان اؤكد لكم ان مؤتمر بغداد كان اكثر المؤتمرات السابقة نجاحا ، واوسعها جولة ، او قد تساوى من حيث القيمة الفكرية بمؤتمر ١٩٥٧م . عندما كان الوطن العربي يمور بالاحداث الجسام وكان المؤتمر بما طرحه من قضايا فكرية قومية على مستوى الحدث السياسي والانفعالات النفسية السائدة . بل ان ما سيسجل لمؤتمر الادباء في بغداد منفردا ، هو ظهور هذا التحول القاطع في التفكير القومي ، والثقافة العامة ، من حيز المسائل الذهنية والجدلية الجانبية ، الى مسائل اجتماعية واقعية تلازم القضية القومية وتمشي بجانبها ، جزئا لا يتجزأ من حقيقتها ، مسيرا ومصيرا . وقد تبدت روح السلم خاصة في دراسة التاريخ القومي والتراث العربي بما يكشف عن جذور الشخصية القومية التي يجب ان تعتمد نموذجا مثاليا لسمات المستقبل في تكوين المجتمع العربي والانسان العربي .

وان يكن الحرص على دراسة الشخصية القومية في التاريخ والتراث دعوة تتناغم مع حرص المثقفين على تقييم التراث في ضوء العلم واليقين ، لا التسليم الساذج ولا التخمين ، فان هذا الحرص يعززه حرص اخر على فتح النوافذ واسعة لتيارات العصر ، دون خوف او وجل ، ليطم تكوين الشخصية القومية ، تكونا رياضيا حرا ، سليما ، تتوافر له جميع عناصر الغذاء والنماء .

ومما يسجل ايضا لمؤتمر الادباء في بغداد ، تفردا ، التقاء اجيال ثلاثة ، من الشيوخ والمخضرمين والشباب ، على المائدة الواحدة ، وجها لوجه ، دون ان يبدو في جو المائدة ما يشار اليه عادة بصراع الاجيال وتناوبها . لقد رأينا الشيوخ في حذر شديد من تهمة التخلف ، والشباب

فرصة سعيدة اناها لي الاخوة رؤساء الوفود العربية في هذا المؤتمر ، اذ قرروا في جلسة لهم عقدت برياسة الاخ الدكتور الدوري رئيس المؤتمر ان يتاح للمندوب السوري الكلام في جلسة الاختتام بعد ان فاته شرف الاشتراك مع زملائه في حفلة الافتتاح .

وانها بالحق لرغبة كريمة وامر رفيع اصعد له واستجيب استجابة النفس تتحكم بالامنية قبل ان تراها ، وتتمنى على الغيب ، فاذا بالواقع اكرم من الغيب . ولكم كان صوب السحاب أسبق من دعاء التراب وأسرع خاطرا ...

بالحق لم نتخلف ، نحن اعضاء الوفد السوري عن اليوم الموعود الا بما قد فرضت علينا الصدف المحكمة التلاحم والترابط ان نتخلف . لقد حاولنا قبل الموعد بايام ان نسلك الى بغداد طريق الجو ، فلم يتيسر لنا ذلك ، وكان لا بد ان نركب المركب الخشن حقا ، وهو السيارة التقليدية عابرة الصحراء التي كانت منذ اربعين عاما مركب السرعة والعجبية ، يصل المسافر به من بغداد الى دمشق ، بأربع وعشرين ساعة ، فيتجمع لوصوله الناس ، يتأملون في عظمة هيكله وجليل أمره ...

وقد شادت ظروف ، كانها مديرة ، وليست مديرة الا في اوهامنا المتعبة ، ان نجتاز الصحراء بين البلدين الاخوين بتسع وعشرين ساعة ، لا بأربع وعشرين ... وكان علينا ان نفرق طويلا في ليجج الافكار الرديئة والحسابات السرية والتأملات الفارقة في أعماق السام المضي ... ومفزاء : على طريقة كليله ودمنة ، من يركب الشراع في عصر النفث ، لا يحق له ان يشكو الرياح ، ويحملها تبعه غرق السفن . سقى الله اياما مضت ، عندما كان نصف بيت من الشعر - تجسري الرياح بما لا تشتهي السفن - عزاء للمنكوب ، وحجة لراكب الجهول ، يتعطل به ويرى ذمته وساحته . واما اليوم وقد تبدلت لغة العصر ، فلا أقل من ان تتبدل معها لغة الشعر . ولعل ما يشغف لنا امامكم ، ايها الاخوة ، ان نعترف باننا اخترنا الشراع السذي تتحكم به الرياح ، وبسنت الرياح مركبا ...

\*\*\*

منذ اكثر من اثني عشر عاما ، اي منذ عقدنا مؤتمر الادباء العرب لاول مرة في لبنان ونحن نقول : سيدعونا العراق ، ومتى يدعونا العراق ؟ ولقد كنا نفتقده داعيا لا مدعوا ، ومتقسما في موكب الفكر والنضال ، لا متباطئا ، ولا متخلفا . وكانت تتماور العراق ايام الشدة والهول ، بلا رحمة ولا هوادة ، وبالاخص منذ ان فرض الاستعمار عليه ، بالانارة والاهانة ، معركة عام الف وتسعمئة وواحد واربعين ، فحاضها بكل كرامة وكبرياء ، ولكن بلا تكافؤ ولا عدة ، وانتهزها العدو فرصة لسحق المد العربي العظيم الذي كانت بشائره في بغداد تهز احلام الجهاد العربي وامنيات البطولة والغذاء . وكان لا بد ان يطول بالمد زمن التراجع والانحسار ، وتتجمع له من جديد روافد الالم والحقد ومر الهوان ، حتى تفجر كما يجب ان يحدث التفجر في ثورة الرابع عشر من تموز ، فعاد الى موقعه الطبيعي من حياة العراق ، مزيلا لللعنة ، وماسحا الاهانة ، ومطهرا التراب العربي من رجس مدنييه . فكانت

وكم مرة كنا نبدأ اللقاء في مثل هذه المؤتمرات اشباحا تقارب اشباحا، واقنعة تواجه اقنعة ، وقفازا يصافح قفازا ... كل منا يزعم انه العالم، الفاهم ، الواثق ، الموثوق ، وان القرية التي اتى منها هي أم القرى ، والعلم الذي جاء به عن الحياة والناس والقريب والبعيد اول العلم وآخره ، ثم لا نلبث ان تسقط تلك الاصداغ المتراكمة والايهام الداكنة والمعارف المزورة ، بعد لقاء اول وثان وثالث ، واذا بالحياة لا تستطيع المضي في انظار ذاتها ، واذا بالدم ليس ماء ولا سما ، واذا بالدوحة العريفة ليست جفوعا يابسة وحطبا ميتا ... واذا بالفضاء الذي يحيط بهذه الاكوان ليس غبارا ودخانا ، بل صفاء وجاذبية وطبيعة كونية واحدة ، وليست الاجرام فيه كواكب مستقلة . وعوالم تحرسها نواميسها ، بل مجموعة واحدة ، تسبح في فلك واحد ، تدور بناموس واحد ، فطرت حقا لتعيش معا ، ولتموت معا ، اذا كان لحياتها حد ، ولازليتها نهاية .

وانا شخصا ، شخصا جدا ، قد احرزت نصرا كبيرا اريد ان اسجله لنفسي وأنعم به وحدي ، اذا كان لا يلد احدا غيري . لقد استطعت ان افتح ، بعد يوم وليلة ، خادم الفندق المروع من الاطلاع على هويتي وجواز سفري ، اني لست فارسا مدججا بأسلحة رهيبة ، هبط من المريح ، او لست احد اقنعة هتسكوك التي يشاهدها فسي التلفزيون ، وقد ارتكب الجريمة ، ويشب لارتكاب جريمة ... لقد استطعت ان افنعه بانني لست خفاشا ، يمتص الدماء في الليل ، عندما سمحت له ان يتأمل طبيعتي من ثقب الباب ليتأكد انني لا احمل تحت ذراعي جناحي خفاش ولا سلاح تنويب النائم في فراشه ، او تنويب النخاع في جمجمته ... لقد اخبرته ان يدخل علي بفنجان من القهوة، وكان قد عطل الجرس ليمتنع عن ندائي ورؤيتي . لقد جذبته الى اجراء خطاب بيني وبينه ثم رأيتنه يتودد لي ، ثم رأيتنه يبتسم ، ثم رأيتنه يغازلني ، ثم رأيتنه ينقض علي شوقا ، كأنني أعرف أهله من ايام امرىء القيس ، ثم طفق بيكي لانني ساغادره بعد ايام ... فكففت دمه ، وبكيت معه ، وقلت له ساعود ... قلت له سنلتقي ، سنلتقي ، لا ادري اين ... فكل مكان فوق أرض العروبة هو لي ولك يا اخي ، وهو مكان لقاء وحب ووفاء .. سنلتقي كثيرا ، سنلتقي طويلا ... والى اللقاء .

فؤاد الشايب

في حذر شديد من تهمة التهور ، حتى ان بعض الظواهر بدت لنا وكان البعض قد احتل مكان الاخر في الصف ، واقام حيث يفرض ألا يقم ، فدل ذلك بأقل الدلالات على ان الحياة طفتت توزع نفسها في جوانب المجتمع العربي وراء الافكار لا وراء الاشخاص والايام والايهام ، بحيث ينتفي قيام نزاع مالفوف بين القديم والجديد ، والشيوخ والشباب ، بالشكل الذي كان سائدا في الاجواء البعيدة عن التفاعلات الثقافية .

وان يكن الباحث المتأمل لا ينفي وجود الصراع والتناوب ، الى حد ما ، فلنا بعد ان شهدنا مؤتمر بغداد ان نستشير بأن المشادة على أضعفها بين المتقنين الذين طفقوا يشمرون بتبعاتهم وبمزايبا التوازن العقلي والعاطفي الذي تعبر عنه في تاريخنا كلمات العدل والاعتدال والقسط والقسطاس والوسط وسواها مما يضعه العقل العربي في مقام القيم الخالدة .

فالذا قام الصراع بين افكار ، لا بين اجيال واشخاص ، وكان العلم في مشكاته ، حيث يجب ان يكون ، فقد أمنا العثار في ضوء النهار ، وأنقذنا أنفسنا من انقلاب المشادة الى خنافة ، والفكرة الى تصور غيبي وعصية ضالة . اذ لا خوف من الافكار ان تتنازع وتؤكد الشرار ، بل الخوف من ان تحصر فسي خيانات الاحتكار او تتولاها ادارات الاوقاف الخاصة .

ايها الاخوة ، يقولون التوصيات والحكومات ، واقول للقائليمن دعونا من التوصيات والحكومات ، فمن شاء فلينفذ ، ومن شاء فليفلق الباب بوجه التوصيات واصحابها . ان الافكار لا تحجبها الاسوار ، والعصر يفرض نفسه ، فمن أدبر أو شاخ فانه مسحوق تحت عجالات الزمن . فلنتترك التوصيات لما تفرضه طبيعة هذه التوصيات ، ولنقل ان خير ما نحصد من هذه المؤتمرات هو اللقاء . اللقاء بما يحمله من تعارف وتآلف ومواجهة مع الحقيقة العربية النيرة الخيرة ، الكاملة الشاملة ، الصافية الجوهر ، المزورة بالابساد ، المضيعة بالايهام ، المبرقعة بالانحجاب الذي يؤلف تقليد الذات المنفصلة ، والانعزال الذي يزور ثقافة الخلية المستقلة . وما ان يتنازل المواطن العربي عن بعض ما يعلم عن اخيه المواطن العربي الاخر ، ليأخذ باللقاء علما جديدا بأحواله حتى يعلم اول ما يعلم انه كان مغرورا ، مضيقا ، جاهلا ،

صدر عن :

## دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة

الجامعة الاميركية في بيروت

### كتاب

## الوثائق العربية ١٩٦٣

اضخم مجموعة للنصوص الكاملة للبيانات والتصاريح والبرامج السياسية للدول والاحزاب والشخصيات في الشرق العربي .

٢٩٠ وثيقة في ٨٥٠ ص (الصفحة عمودان)

الثلث ٢١ ل . ل . او ٧ دولارات اميركية

اطلبوا هذا المرجع الذي لا غنى عنه من :

مكتب التجهيز والبيع - الجامعة الاميركية في بيروت

او دائرة الدراسات السياسية - الجامعة الاميركية في بيروت